الإتصال ما بين الأستاذ والطالب في العملية التعليمية

د. فتحي سالم أبو زخار
كلية الهندسة جامعة التحدي، سرت

ملخص البحث:

إذا كان هناك من يرى بأن درجة تحضر الأمم تقاس بمستوى سرعة ومرونة وتطور وسائل الاتصال بها – على جميع الأصعدة – فنحن بدورنا نرى بأن معوقات التعليم على علاقة عكسية بكفاءة ويسر الاتصال بين الأستاذ والطالب، ففي وجهة نظرنا أن مشكلة التعليم تكمن أساساً في طريقة وظروف عملية الاتصال بين الأستاذ والطالب واستعدادهما لمزاولة هذا النشاط.

إن العملية التعليمية أساساً لها ثلاثة أبعاد رئيسة – إضافة إلى الكتاب – الأستاذ المرسل، والطالب المستقبل، والقاعة الوسط، وهذه هي العناصر الرئيسة في مجال الاتصالات، وهذا ما يؤكد بأن مسالة الاتصال تلعب دوراً كبيراً في تخطي الكثير من العراقيل التي تواجه العملية التعليمية في مختلف العلوم والمراحل.

ففي هذه الورقة سنسلط الضوء على قضية الاتصال بين الأستاذ والطالب، آملين بذلك أن نكون قد و ضعنا أيدينا على جزء مهم من المشكلة، وطرحنا مقترحات عملية لضمان المسيرة التعليمية بانسجام وتناغم بين الأستاذ والطالب.

المقدمة:

بالرغم مما يواكبه الإنسان المعاصر من تطورات سريعة ومطردة نتيجة للتطور المذهل في وسائل الاتصال السلكية واللاسلكية، ووسائل النقل البرية والبحرية والجوية، التي جعلت العالم يموج في سيل متدفق من الأفكار والأشياء تندفع من كل جانب وتتجه في مختلف الاتجاهات ، كما وأن قنوات الاتصال بين المجتمعات البشرية أدت إلى تقليص المسافات وتيسير انتقال الأفكار والأشياء وأصبح تأثير المجتمعات في بعضها مباشراً وأكيداً [3]، ومع هذا فما زال الأستاذ يعاني من مشاكل وعراقيل لتأدية دوره التعليمي في توصيل المعلومة المفيدة، وبناء الأفكار المستنيرة، وخلق سلوكيات راقية عند طلابه، وكأنما هذا التطور في وسائل الاتصال وتدفق الأفكار معزولة عنه، ولا تمت له بأية صلة من قريب أو بعيد.

ففي علوم الاجتماع [s]،[15]، أخذ جانب الاتصالات بالمجتمعات البشرية وكيفية أساليب وطقوس اتصالاتها، العديد من البحوث والدراسات، وأن كان في جلها من أجل السيطرة على الشعوب ومقدراتها، وليس لخدمتها وتطويرها كما يدعون، "فلقد درس الإنجليز والفرنسيون في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن عادات العرب في مختلف أقطارهم تمهيداً لاستعمارها والتواصل معها بعد الاحتلال" [16].

في الجانب الصحافي والإعلامي لا زال يرى الأستاذ كيف وأنها وسائل فردية الاتصال، وغير زوجية، أو الاتصال بها غير متبادل، ويتم من طرف واحد ومع ذلك "تتصل اتصالاً مباشراً بالجماهير، وتقوم مقام المدرس والمعلم والمرشد، وتنير (أو تظلم) الطريق وتفتح (أو تقفل) أوسع أبواب العلم والمعرفة والإطلاع الدائم" [14] ومع كل هذا لم تؤخذ العظات والعبر من هذا المجال، ليستفيد منها

الأستاذ في مسيرته التعليمية.

موضـــوع الاتصـــالات قـــد أشبع دراسة وبحثاً في مجـــال عـــلم الإدارة والإنتاج، [10]، [12]، [13]، [16]، وبالرغم من أنه لم يصبح الاتصال علماً بالمعنى الدقيق إلا مـــع سنة 1948 على يد مهندس يدعى كلود شانون يشتغل بشـــركة بل Bell بأمريكا إلا أن القصور واضح من جانب الأساتذة في الاستفادة من هذه البحوث، وتطبيقها في مجال التعـــليم، وأن كنا نرجح ذلك لقلة مخصصات الصرف على التعـــليم، وتوفـــرها بالمؤسسات والإدارات الإنتاجية، ولكن مـــع أن الســـبب وجيـــه إلى حـــد ما، إلا أن ذلك لا يعيقنا كأعضـــاء هيـــئة تدريس وكمعلمين في قطاع التدريس أن تكون لنا مبادرات ولو بسيطة لدراسة ذلك.

هـــناك أيضـــاً مجـــال آخر يتعلق بطريقة وأسلوب الاتصـــال بالنسبة للأستاذ مع طلابه، ألا وهو مجال التمثيل والخطابـــة، أو فن الإلقاء [20]، [21]، [22]، [23]، [39]، وهـــذه من الأساسيات التي تهم الأستاذ حتى يتمكن من أداء واجـــبه بالصـــورة الصـــحيحة والمناسبة، ويحقق أهداف تربوية تبني صرح حضارة ومجد راقي.

بقـــي هـــناك مجال آخر بابه واسع وعريض، وهو قـــريب ولصيق بالكثير ممن هم في مجال العلوم الإنسانية، وبعيـــد ومجهـــول بالنســـبة لأســـاتذة العـــلوم الأساسية، والـــزراعية، والهندســـية، والطبية، فلا علم لهم به، بالرغم من ممارستهم للتدريس، ونقصد هنا بعلم النفس [2]، [17]، [18]، الـــذي يعتـــبر الـــتمهيد والأســـاس لجميع عمليات الاتصـــال ســـواء كـــان ذلك على المستوى الإعلامي، أو الإداري أو عـــلوم الاجتماع، فعلى جميع الأصعدة سيكون الاتصـــال قاصـــر بيـــن الأستاذ وطلابه إلا إذا ألم الأستاذ بخـــبايا أنفســـهم وحـــاول إيصال المعلومة المفيدة والفكرة الرائدة بالطريقة الصحيحة.

إن بـــاب معوقات التعليم [32] واسع وعريض، وله عـــدة جوانب وزوايا منها المهم، ومنها غير ذلك، كما وأن هناك معوقات تختص بالتعليم التقني[3]، [34]، إلا أن ذلك لا يقـــلل من أهمية دراسة وبحث موضوع الاتصال ما بين الأستاذ والطالب.

1- مفهوم الاتصال وأهميته:

الاتصـــالات مشـــتقة مـــن الأصـــل اللاتيـــني (communis) بمعـــنى (comman) أي عام، فاتصال فرد بآخـــر يهـــدف إلى الوصـــول لاتفـــاق عام أو وحدة فكر لموضـــوع ما [21]. وما عملية اتصال الأستاذ بالطالب إلا لـــتحقيق معـــارف، ومفـــاهيم تربوية. "فالاتصال في اللغة أساســـاً الصلة والعلاقة وبلوغ غاية معينة من تلك الصلـــة" [16] والاتصال يعني في اللغة (وصل، جمع، ربط) [16].

1.1 تعريف:

يُعـــرف الاتصـــال "بأنه عملية يقصد مصدر نوعي بواسطتها، إثارة استجابة نوعية لدى مستقبل نوعي* [16]. وتُعـــرف الاتصـــالات الإدارية "بأنها عملية إنتاج وتوفير وتجميـــع الـــبيانات أو المعـــلومات الضـــرورية لاستمرار العمـــلية الإدارية، ونقلها أو تبدلها أو إذاعتها، بحيث يمكن للفرد أو الجماعة إحاطة الغير بأمور أو أخبار أو معلومات جديـــدة، أو الـــتأثير فـــي ســـلوك وتصـــرفات الأفـــراد والجماعات** [12] [16]. كما وينقل د. مصطفى حجازي عن د. إبراهيم الغمري في كتابه "الاتصالات الإدارية" بأن عـــلماء الإدارة يقولـــون بأن "الاتصالات هي قلب الإدارة" فـــنظام الاتصـــالات الإداريـــة يمثل الركيزة الأساسية التي يعتمد عليها المدير في تحقيق أهدافه [16].

---

* نقل عن Rickard (Tndy) , communication, the landsford pabco. California, 1973، يلاحظ أن النقل تم بترجمة حرفية إلى حد ما.

** نقل عن عبد الله أسعد، الاتصالات الإدارية، المركز العربي للتطوير الإداري، القاهرة.

عمـــلية الاتصـــال بيـــن الأستاذ والطالب في شكلها الخـــارجي مســـألة عادية، فحتى مع وعي معظم الأساتذة بصـــعوبتها، وما تحتاجه من جهد مضني وإطلاع، إلا أننا نجـــد الكثير من الأساتذة نظرتهم مستمرة في أن "الاتصال عمـــلية طـــبيعية تســـير مـــن تلقاء ذاتها طالما نمتلك اللغة والقـــدرة عـــلى التعـــبير" [16]. مما سبق نخلص إلى أن الاتصـــال فـــي العملية التعليمية هو: إلمام الأستاذ بمعارف وعـــلوم معيـــنة وهضـــمها، ثـــم نقلها لطالب عن طريق أحاســـيس وعواطف وبطرائق وأساليب تحرك أكثر حواس الطـــالب، ليســـتقبلها ويتمثـــلها، بعـــد غربلتها، ورد ما لم يســـتوعبه عـــلى الأستاذ مرة أخرى، بحيث تكون النتيجة معارف ومفاهيم وسلوك راشد.

2.1 أهمية الاتصال:

"إن الاتصـــال قبل أن يصبح علماً في تاريخ حديث جـــداً، هو مقوم أساس من مقومات الوجود الإنساني، حتى لنســـتطيع أن ندرجه ضمن الحاجات الأساسية لبني البشر، فالاتصـــال فـــي مختلف استكماله هو التعبير عن الصلة أو الصـــلات بينـــنا وبيـــن الآخرين" [16]. وهذا يؤكد أهمية دراسة موضوع الاتصال بين الطالب والأستاذ، وما له من دور فعال في العملية التعليمية، وفي تجاوز معوقات التعليم فـــي العـــلوم الأساســـية أو في غيرها من العلوم الإنسانية والتطبيقية.

إذا كـــانت عمـــلية الاتصـــالات في المجال الإداري والصـــناعي تهـــدف "أساسياً إلى خلق جو من التفاهم بين الإدارة والعامـــلين، وذلـــك عـــن طريق تبادل المعلومات والآراء والمقـــترحات" [10]. وإذا كـــانت الرقابة الإدارية الجيـــدة "تعتمد على نظام جيد للمعلومات والاتصالات" [13]. كمـــا وتهدف المؤسسات الإنتاجية، عن "طريق الاتصال الجيـــد، الـــربط بيـــن الجهـــود العقلية والجسمية للعاملين، فالمديـــر الجيد هو الذي يستطيع أن يوصل أفكاره وشعوره واحساســـاته إلى مرءوســـيه بالطريقة التي يجعلهم يفهمون جيـــداً مـــاذا يريد أن يحقق ولماذا، وكيف، ومتى، وتحقيق اشتراك العاملين اشتراكاً إيجابياً بأفكارهم وخبراتهم" [10].

إن أســـاس التعليم مبني على الاتصال الجيد ما بين الأســـتاذ والطـــالب، وما يخلقه الأستاذ من جو ملؤه الود، والـــتفاهم، والـــتعاون بقاعة الدرس. فالمعلم الجيد هو الذي يعـــرف بـــأن عمـــلية التعـــليم إنما هي عملية اتصال بين شخصـــين أحدهمـــا شخصية المتعلم بكل أفكاره وعواطفه واتجاهاتـــه، والآخـــر هـــو شخصـــية المعـــلم بكل أفكاره وانفعالاته واتجاهاته أيضاً" [20].

2- الأستاذ (المرسل):

حـــتى يكـــون الاتصال بين الأستاذ والطالب فعال، يتحـــتم أن يكون هنالك استعدادات من قبل الأستاذ لضمان ســـير العمـــلية التعليمية بالشكل المطلوب، ولكن ما يجدر الـــتركيز عـــليه، هـــو أن هذه الاستعدادات ليست كلها بيد الأســـتاذ، فالمجـــتمع أو القطاع الذي يشرف على التعليم، والأستاذ يلعبان معاً دوراً مهماً كجزء من هذه الاستعدادات، ونحـــب أن ندرجها تحت الاستعدادات الغير مباشرة، وبذلك نخلص إلى أن الاستعدادات المطلوبة من قبل الأستاذ تنقسم إلى قسمين:

1.2 استعدادات غير مباشرة:

ارتأيـــنا أن نبدأ بالاستعدادات الغير مباشرة، لكونها ليست بمتناول يد الأستاذ، فبدونها يبقى جهد الأستاذ ضائع، ونـــاقص، واتصاله بالطلاب قاصر، ومشوش، ومع أن هذه الاســـتعدادات مطلوبة من الجهات المشرفة عن التعليم، إلا أنـــه يـــبقى مـــن واجب الأستاذ مع ذلك، التنبيه والمطالبة، بمثل هذه الاستعدادات والإصرار على متابعتها.

فالأســـتاذ حـــتى يعطي، ويوصل المعلومة المفيدة، ويرســـخ الفكـــرة الجيدة ويبذر السلوك الطيب، يجب أن لا

يعـــاني من أي نواقص، وعلى قطاع التعليم ضمان نقطتين رئيسيتين:

أ) عـــلى المجتمع أن يضمن للأستاذ أبجديات الحقوق في العيـــش الكـــريم، ومرتب يسد حاجاته و متطلباته هو وأســـرته*، فـــبدون ذلـــك سنجد خلل في الإرسال من جانب الأستاذ.

ب) ضـــرورة إعداد برنامج شهادة خاصة للسماح بمزاولة مهـــنة الـــتدريس، تتضمن الشروط العامة التي تتعلق بالمظهـــر العـــام، والخـــلو مـــن العاهات الظاهرة في الحـــواس والجســـم، واجـــتياز امـــتحان الثقافة العامة والمسلكية [19] المتعلقة بعلم النفس وطرق التدريس.

2.2 استعدادات مباشرة:

تـــلعب الاســـتعدادات المباشـــرة دوراً مهماً جداً في القـــدرة على الاتصال بالطلاب وإيصال المعلومة بالطريقة المناســـبة، وبناء الفكرة المستنيرة، وغرس السلوك الحسن، وهـــذه الاســـتعدادات تنبع من ذات المعلم نفسه، فلا يمكن مـــنحه إياهـــا، أو الـــتأكيد عـــلى وجودهـــا، إلا من خلال الاســـتعدادات الغيـــر مباشـــرة، ومع هذا لا زلنا نرى بأن أثـــرها – الاستعدادات الغير مباشرة- ثانوي، وقاصر، إلا إذا تـــأكدت الاستعدادات المباشرة، والتي نلخصها فيما يلي بعد أن نقدم لها بهذا التمهيد:

التمهيد:

التعـــليم فـــي المرحلة الجامعية، وإن اعتمد أسلوب الطـــريقة الإلقائيـــة، في اتصال الأستاذ بالطالب، وبالتحديد إلقـــاء المحاضرة، إلا أن هذا لا يعفي من أن تتخلل أساليب الاتصال، الطرق الأخرى سواء كانت: الطريقة الاستقرائية (طريقة هربات)، أو طريق المشروع التعليمي، أو الطريقة الحوارية (الاستجوابية) [20].

يُعـــرف د. فاروق سعد في كتابه "فن الإلقاء العربي الخطـــابي والتمثيلي" المحاضرة بأنها "حديث منسق مبوب يتـــناول موضـــوعاً معيـــناً لإيصـــال مضمونة إلى أذهان المســـتمعين" [24] ويقترن – حسب نظرية – الإلقاء دائماً بالمحاضـــرة [24]، إذن اتصـــال الأســـتاذ بالطالب يتم من خـــلال الإلقـــاء بهدف إيصال المضمون إليه وهذا يتطلب الاستعدادات المباشرة التي نحن بصددها.

1.2.2 صقل قدرات الإلقاء:

عـــلى الأستاذ كمرسل للمادة التعليمية أن يكون على درجة عالية من العلم، والدراية بفنون الإلقاء "فهناك الكثير من دول العالم المتقدمة (نسبياً) لا يمكن أن يحصل مدرس عـــلى شهادة للتدريس ما لم يجتاز ذلك المدرس دروساً لها علاقة بشكل أو آخر بفن الإلقاء، وفن الكلام"* [41].

إن العمـــلية التعـــليمية تحتاج لتحريك أكثر الحواس عـــند الطالب والأستاذ المتمكن من صقل قدراته في الإلقاء، يستطيع أن يحرك، وينشط حواس الطالب (المستقبل) خلال عمـــلية إرســـاله، فعمومـــاً "المحدث، والمحاضر، والمعلم، والمـــدرس لا بد أن يتمكن من فن الإلقاء، حتى يستطيع أن يجـــذب إليه المستمعين أثناء الدرس أو المحاضرة أو الندوة أو أثناء المناقشات في أروقة المدارس والجامعات" [41].

إن طـــريقة وأســـلوب الإلقـــاء مهمة جداً، حتى تتم عمـــلية إيصال المعلومة إلى الطالب، فالعلم بالمعلومة وحده لا يكفي، وهذا واضح من خلال تفاوت قدرات الأساتذة في

---

* "يرى ابن خلدون أن العلم والتعليم من الظواهر الاجتماعية، حيث يتوقف تقدمها وازدهارهما على تقدم المجتمع ورقيه، ولكن حسب ما يتراءى لنا لا يمكن أن نجزم بأن العلم والتعليم يعتمد على ازدهار المجتمع ورقيه (حضارته) ولكن يمكننا القول بأن تقدم المجتمع، أو عدم وجود مشاكل اقتصادية به، عامل مساعد في التعليم بشرط أن يكون هناك الوعي والإرادة لرفع مستوى التعليم" [24]، وهذا ما قصدناه في هذه النقطة.

* نقل عن صالح عبد العزيز، التربية الحديثة، ص 196.

الإلقـــاء "فالمدرســـون ملقون، وتتفاوت قدراتهم كذلك تبعاً لطريقتهم في الإلقاء فكم من مدرس غزير في علمه، ولكنه رتيـــب فـــي إلقائه يبعث الملل في النفوس، وكم من مدرس يســـتحوذ على عقول طلابه لأنه يملك مقدرة إلقائية يفصح بهـــا عـــن معـــلوماته، ويقنع بها طلابه، ويدفع عنهم السأم والملل لما يشتمل عليه إلقاؤه من تنوع وتشويق" [21].

نلاحـــظ أن هـــناك رابط قوي بين دور الأستاذ في القاعـــة كمحاضـــر، وبين الممثل على خشبة المسرح، من خـــلال عمـــلية الإلقـــاء، والتأثير في نفوس الآخرين ولهذا ارتأيـــنا أن يعرف الأستاذ كيفية استغلال قدراته الصوتية، وأن يكـــون عـــلى عـــلم وبيـــنة من أهداف الإلقاء بالنسبة للممـــثل، والـــتي ستكون بمثابة أهداف لإلقاء محاضراته. فينقل الأستاذ محمد ماهر في كتابه "فن الإلقاء" عن الأستاذ هينـــنج نيـــلز في كتابه "الإخراج المسرحي" أهداف الإلقاء، وهي على النحو التالي [21]:

أ) ينقل كلمات المسرحية (الدرس) إلى النظارة.

ب) يعطـــي لـــلكمات معـــاني عـــن طريق نبرات الصوت.

ج) يـــنقل للنظارة معلومات عن طبيعة الشخصيات وأمزجتها (خلفيات وملابسات الدرس).

د) يســـيطر عـــلى مزاج المتفرجين (الطلاب) كما تفعل الموسيقى تماماً.

تعتـــبر "الـــلغة وســـيلة الاتصال بين أفراد المجتمع" وتـــزداد أهمية ووظيفة الاتصال في عالمنا المعاصر، لتعقد الحيـــاة الحديـــثة والعـــلوم المواكـــبة للعصر، وكذلك لغلبة المؤسســـات الديمقـــراطية وطريقة الحياة الديمقراطية [39] فمـــن هـــذا المنطلق "برزت أهمية تنمية قدرات الفرد على اســـتخدام الـــلغة فـــي إيصـــال أفكـــاره وآرائه للآخرين، واســـتخدامها لفهـــم وجهة نظرهم" [39]. إذا كان هذا حال الفـــرد العـــادي، إذن فكيف يكون حال الأستاذ الذي دوره الرئيســـي يتمثل في إيصال المعلومات والأفكار إلى طلابه. لذلـــك حـــتى يكـــون الإلقـــاء بالمستوى المطلوب ويظهر بالمظهر اللائق، فيجب على الأستاذ أن يدعم ويسند الإلقاء عنده ببعض المقومات، ولقد لخصها الكاتبين الأستاذ سامي عـــبد الحميـــد، والأستاذ بدري حسون فريد في كتابيها "فن الإلقاء" في أربعة نقاط [22]:

أ) **التوضـــيح:** ويكـــون بخـــروج الحروف من مخارجها الصـــحيحة، وبمـــرونة أدوات التشكيل، وتجنب التنفس الخـــاطئ أو الضعيف إلى جانب عيوب النطق المتمثلة في اللثغة، والتمتمة، والفأفأة، والرتلة.*

ب) **الـــتقطيع:** يعـــني ذلك منع اختلاط الجمل بحيث يمكن تفريـــز المعـــاني، فاســـتمرار الكـــلام يـــتعب الملقي، والمتلقي.

ج) **النـــبر:** وهو الوضوح السمعي لمقطع من المقاطع، أو الكلمة، ويتعلق أيضاً بموسيقى الكلام.

د) **الـــتركيز:** ويعـــني شد انتباه السامع إلى كلمة أو جملة معيـــنة، وإعطائها أهمية خاصة وذلك بإبرازها وتوجيه الانتباه إليها.

وختاماً لما يتعلق بمسألة قدرات الإلقاء، نود أن نشير

---

* يشرح د. فاروق سعد في كتابه "في الإلقاء العربي الخطابي والتمثيلي: المهيئات العضوية لممارسة الإلقاء ويقسمها إلى ثلاثة:
أ) سلامة أعضاء النطق: ويعني سلامة الأسنان واللسان من (الخبسة، الحكلة، العقلة، اللكنة، التمتمة، والفأفأة، التعتعة، اللغف، التهتهة، والهتهتة، اللثغة، الصموت، وسلامة الفم، والشفتان، والحلق، والأنف).
ب) تباعد مخارج الحروف المتآلفة.
ج) سلامة العضلات والأوتار والأعصاب: وقسمت الأصوات الصحيحة كما يلي: الجهير، الجهير الأول، الغراني، الرقيق، الندي، الرنان)، أما الأصوات التي تعتريها عيوب فهي: (المغرغر، المكتوم، الأقرع، الأخنف، الحنجري، المرتعش، الأجش خافت) [32].

أيضـــاً إلى أن الإلقاء مسألة أخلاقية، فطريقة الكلام تتفاوت في عرضها، وفي الحديث "إن من أحبكم إلى وأقربكم مني مجلســاً يــوم القيامـــة أحســنكم أخلاقاً، وأن أبغضكم إليّ وأبعدكـــم مـــني يـــوم القيامـــة، الثرثارون، والمتشدقون، والمتفيهقون" رواه الترمذي [25].

2.2.2 هضم المعلومة ونقل الأحاسيس:

تعمدنـــا – بعد أن طرحنا نقطة صقل قدرات الإلقاء – أن نـــلجأ إلى مناقشـــة مســـألة هضـــم المعلومة ونقلها بالأحاسيس بالرغم من بديهيتها من الناحية الظاهرية، ولكن بعرضـــنا إياهـــا عـــلى مشـــرحة التحليل، سنجدها جديرة بالـــنقاش والمتابعة، فكثيراً ما نسمع بأن "الهدف من التعليم لمعظـــم دول العـــالم هـــو حشو أدمغة التلاميذ بالمعلومات والمعارف، وليس طريقة التفكير والبحث العلمي والتسلسل المـــنطقي للأفكـــار والفهم الصحيح" [26]. ولكن ننسى أن نـــناقش المســـألة مـــن أسسها، فكيف نطمع من معلم تلقف المعـــلومات من كتاب إلى فمه وبدون لوك أو استمراء، أو حـــتى هضم، أن يرسلها للطالب وبدون تشويش أو خلل في عصـــارة الإدراك أو الفهم، يحاول الأستاذ محمد ماهر فهيم فـــي كتابه "فن الإلقاء"، أن يخص الممثل بالجمع بين إبراز مـــا يحتويه النص التمثيلي من عواطف وأحاسيس، وأبعاد نفســـية واجتماعية، إضافة إلى طلاقة اللسان، وسلامة اللغة ووضـــوح الجمـــل والألفاظ، على أن ذلك إلقاء تمثيلي. أما الإلقـــاء العـــادي – عـــلى حد تعبيره – فكل ما يتطلبه هو ســـلامة اللغة ووضوح الألفاظ [21]، وفي هذا الخصوص نـــود أن نوضـــح بـــأن مسألة الجمع بين اللغة والعواطف والأحاســـيس، مطـــلوبة في جميع الأحوال التي يكون فيها التعامل مع البشر* سواء أكان الإلقاء تمثيلي أو عادي فمن ذا الـــذي هـــو خالٍ من الشعور العاطفي بحيث نتعامل معه بـــدون أي مشاعر أو أحاسيس عاطفية وبالذات في العملية التعـــليمية. إن الجفـــاف فـــي المعلومات والأفكار المقدمة لـــلطلاب، وعدم تغميسها بعواطفنا وأحاسيسنا بعد هضمها كـــنظريات وأرقـــام أو نصـــوص وأحداث، لن يمكنها من العـــبور والوصول إلى أحاسيس ووجدان المستمعين سواء أكـــانوا طـــلاب أو غيرهم. فمن المطلوب تحريك الأستاذ لعواطـــف طلابـــه ليتعايشـــوا مع ما يطرحه. ولكن كيف الســـبيل لـــتحريك المشاعر والأحاسيس إذا كانت الكلمات والجمـــل والفقـــرات خاليـــة ومجـــردة مـــن الأحاســـيس والعواطـــف. إن "المشـــاعر والأحاسيس التي يتحسس بها المـــتحدث أثـــناء نقل معاني الكلمات التي يقرأها أو يلقيها ســـتنتقل إلى المســـتمع أو المـــتفرج إذا مـــا توفرت نفس الشـــروط التي جعلت تلك المشاعر في نفس المتحدث وأن تـــلك المشـــاعر لا تنتقل لمجرد الصوت والكلمات بل لا بد أن تصـــدر تلك الكلمات مدعومة بقوى داخلية حقيقية وإلا كانت تلك المشاعر كاذبة ولا تحرك المشاعر لدى المستمع أو المتفرج"** [22].

إن قـــدرات الإلقـــاء لوحدهـــا غير كافية للاتصال المتـــبادل بيـــن الأســـتاذ وطلابـــه. فالعلاقـــات المباشرة، والوســـيطة كوســـائل للـــتفاعل الاجتماعي تبقى مطلوبة، ومســـاعدة في عملية الاتصال. ومع أن العلاقات المباشرة قائمـــة على الأشكال الغريزية للفاعلية والحركات المعبرة، وهـــي فـــي مســـتوى أقـــل من النمو مقارنة مع العلاقات الوســـيطة الـــتي تعتـــبر دلالـــتها الأساسية الإشارة، وعن طـــريقها يتم التواصل [4]، يبقى من الضروري أن يتفاعل الأســـتاذ مـــع المعـــلومة والفكرة لإيصالها للطالب، ويعبر عليها بملامح وجهه وحركات يده، فتكون بمكانة الأحاسيس

---

* هذا ينطبق كذلك على الخطابة فيذكر الأستاذ إيليا حاوي بأن "الأفكار التي تقطن الذهن، مهما سمت وشرفت تبقى دون تأثير على تصرف الإنسان إذا لم تنتقل من فكرة يعيها في ذهنه بلا مبالاة إلى شعور راغم حتى يحول الفكرة الجامدة إلى عمل حاسم" [38].

** نقل عن سامي عبد الحميد، تربية الصوت وفن الإلقاء، ص 93.

الناقلة للمعلومة المهضومة.

إن المقصـــود مـــن الهضـــم هو "الفهم.. ففهم المعلم للـــنص هـــو الذي يجعل هذا النص يتجلى لطلابه بالشرح والتفصـــيل والإيضـــاح والإشارات وحتى اللهجة والنبرات الصوتية وملامح الوجه كل ذلك يجعل نص الدرس يتفاعل وينـــتقل من فكر المعلم إلى أفكار الطلاب. فعلى الأستاذ أن يخـــلق فـــي الدرس جواً من اللطف والمحبة تجعل الطلاب فـــي تلائم وانسجام وحينئذ يعطي الدرس ثمرته ويستوعب الطلاب بفهم عميق كل ما يشرحه المعلم"* [19].

إن دور الأحاســـيس والعواطـــف هـــو بمثابة دور الموجـــات الحامـــلة carrier waves ذات الـــتردد العـــالي الصـــادرة عـــن مولـــد الذبذبـــات بالإرســـال اللاســـلكي. والمعـــلومات والأفكـــار تمـــثل الذبذبات المنخفضة التردد والمعـــبرة عـــن الصوت، والتعديل** modulation يعبر عـــن عملية النقل المطلوبة من الأستاذ المرسل إلى الطالب (المستقبل). انظر الشكل رقم [1].

بهـــذا نـــنوه إلى أن العبئ الملقى على عاتق الأستاذ يتطـــلب الجهـــد الكبير منه هو في حد ذاته، وليس إدخال التقـــنيات الجديـــدة فقـــط***، وإن كـــان دخولها كعوامل مســـاعدة لهـــا دور إيجابي إلا أن ذلك لا يعفي الأستاذ من الـــتفاعل مـــع دروسه ومحاضراته وترسيخ مبادئ تربوية تنمي الذات القومية [31]، ونقلها بأحاسيسه لطلابه، وصقل قدراتـــه في الإلقاء ليكون كلامه فصلاً يفهمه كل الطلاب. فعـــن عائشـــة رضى الله عنها قالت: "كان كلام رسول الله ﷺ كلاماً فصلاً يفهمه كل من يسمعه" رواه أبو داود[25].

3.2.2 خصائص قيادية:

إن هضـــم المعـــلومات وصقل قدرات الإلقاء ومبدأ الحوار، كلها تحتاج إلى شخصية قيادية بحيث تسيطر على الموقـــف بداخل قاعة الدرس، وتجعل من هذه الخصائص دعـــائم تزين هذه الشخصية كمعلم، ولقد حدد شيس برنارد C. Baernard بـــأن قيادة التنظيم تتوقف على الآتي: القدرة الفيـــزيقية، والمهـــارة، والمعـــرفة التكنولوجية، والإدراك، والذاكـــرة، والقـــدرة عـــلى التحمل [5]. وبالتمعن في هذه الخصـــائص ســـنجد أن جميعهـــا فـــي إطار الاستعدادات المباشـــرة المطلوبة من المعلم بحيث يقوم بأداء واجبه على أكمل وجه.

نجـــد أن هضـــم المعـــلومات يـــناظره، المعـــرفة التكـــنولوجية، والإدراك، والذاكـــرة. وصقل قدرات الإلقاء يقابـــلها، القـــدرة الفيـــزيقية، والمهارة. أما بالنسبة للحوار فيمثل القدرة على التحمل في الأخذ والرد والنقاش.

إذا كـــانت القدرة الفيزيقية تتعلق بالخلو من تشوهات النطق فذلك لا يخرج سلامة الجسم من التشوهات، ومظهر المعـــلم مـــن دائـــرة القدرة الفيزيقية، فكلاهما له ارتباطه بشخصية المعلم، وانعكاساته في قيادة طلابه.

لقـــد لخص الغزالي صفات المعلم وواجباته وأسماها "وظائف" وحصرها في ثمانية وظائف كالآتي: الشفقة على المتعـــلمين ومجاراتهم مجرى بنيه، عدم طلب الأجر طمعاً فـــي رضاء الله****، وأن لا بدع من نصح المتعلم شيئاً، وتوجيه المتعلم وتهذيبه، وأن يكون متسامح، وأن يلقى إلى المتعـــلم من العلوم على قدر فهمه، وإذا كان المتعلم قاصر فمـــا هـــو جلي ولائق به، وعلى المعلم أن يعمل بعلمه فلا

---

* نقل عن سامي عبد الحميد، تربية الصوت وفق الإلقاء، ص 93.

** حمل موجات الصوت على الموجات ذات التردد العالي تسمى بعملية التعديل للمزيد راجع [27].

*** راجع [11].

**** إن مسألة تقاضي الأجر من عدمه مسألة متشعبة، فبظروفنا المعاصرة لا يمكننا أن نطالب المعلم بالتخلي على المورد والمصدر الوحيد الذي يسترزق منه هو وعياله، ولكن نطالبه بألا يحدد ويقيس عطائه وتفانيه في العمل بما يتقاضى من راتب، فلا يمكن مناظرة تعب الأستاذ ورسالته بدنانير ودراهم.

يكـذب قولـه فعله [7]. وهي في مجملها خصائص قيادية يحـتاج لهـا المعلم في عالمنا المعاصر بالرغم من مرور أكثر من تسعة قرون على ذكرها.

4.2.2 الحوار والاتصال المتبادل:

إذا لـم تكـن "مشكلة المشاكل في الإدارة في إيجاد طرق جديدة لإرسال واستقبال المعلومات، ولكنها خلق جو مـن الـتفاهم الحقيقي المتبادل بين المدير والعاملين" [15] فينـبغي لـنا أن نؤكد بأن إحدى النقاط المهمة بحيث يكون لـلحوار معـنى، ويتضـامن الطلاب في العملية التعليمية فيجـب عـلى الأستاذ، أن يخلق جو من التلطف والتسامح بحيـث يـتمكن الطـالب من التعبير عن آرائه بكل حرية، وبـدون أدنى تـردد. ففي حملة المشرفين على الاستقصاء فـي التطبيقات العملية لعلم النفس "العلاقات الإنسانية " سنة 1928، وجـد أن مجرد سؤال المنتجين والاستماع إليهم قد حسّن من الجو العام، ورفع من مستوى الاتصالات [8].

إذا اتفقـنا بـأن تعريف التعلم هو "تغيير في السلوك ينـتج عـنه اكتساب خبرات يمكن استخدامها في المواقف الجديـدة سـواء أكان التعلم مقصوداً أم غير مقصود" [2]، وبأن مهمة الأستاذ هي الأخذ بيد التلميذ من حيث المستوى الـذي وصل إليه محاولاً أن يصل به إلى الهدف المنشود، ولكي يحقق هذا لا بد من وجود وسائل النقل التي يجب أن يـلم بها المدرس" [20]، والمتمثلة في إمكانياته في الإلقاء، وهضـم المعـلومات، وإيمانـه بمـبدأ الحوار، والاتصال المتبادل.

زد عـلى هـذا الصد أن الأستاذ كرشن Krashen يـرى بـأن عـدم توبيخ الطالب ومعاقبته إذا ما أخطأ في إجابـته، وإعطائـه أكـثر من فرصة للخطأ سيساعد من العمـلية التعـليمية [42] [43]. ونحن نرى بأن ذلك دعامة لـلحوار والاتصال المتبادل. بهذا نستطيع أن نضمن تحقيق نـتائج مـن العمـلية التعـليمية، واستخدام هذه النتائج في مواقـف جديدة، حسب تعريف التعلم وهذه النتائج تتخلص فيما يلي:

أ) الوصـول إلى الهدف والغاية من التعليم والتعلم، وذلك بالاعتماد على التفكير بدلاً من التسميع.

ب) ترسـيخ مفـاهيم تـربوية راقية تتمثل في المحاورة، والجرأة على النقد، واحترام مفهوم الديمقراطية باحترام الآخرين.

إن ترسـيخ مـبدأ الحـوار والاتصال المتبادل في العمـلية التعـليمية لنتجاوز به معوقات التعليم اليوم، ليس بـالجديد، فلقد "كانت المهارة في الحوار وقيادة المناظرات تعتـبر من الأهداف الرئيسية التي تهدف إليها الجامعات في العصـور الوسطى فكان على الطالب قبل أن يأخذ إجازته العـلمية من هذه الجامعات أن تثبت أنه قد اشترك في عدد مـن المـناظرات، وأن يظهـر مهـارة فـي فـن الجدل والمـناظرة* [6]، ونحن ما نطمح إليه هو أن يأخذ الأستاذ إجـازة في أصول التدريس، وأن يكون على دراية بالأمور المتعـلقة بالاتصال. فبغض النظر عن طرق التعليم [2]، [20] يـبقى مهم أن يأخذ الأستاذ بمفهوم الحوار، والاتصال المتـبادل في العملية التعليمية، والشكل رقم [2] يوضح ما نـرمي ونصـبو إليه. كما وأن الاتصال الديمقراطي يبعد الأسـتاذ عن الأسلوب الفوضوي في قيادته للطلاب، "حيث ينحصـر الاتصـال (فـي الأسلوب الفوضوي) بين القائد والأعضـاء في أضيق نطاق ممكن بحيث لا يقدم في ذاته إسهاماً للجماعة" [5]، وهذا ما سيعيق العملية التعليمية.

إن انـتهاج الأسلوب الديمقراطي والحوار، حتى في الإدارة المدرسـية [1] لـه إيجابياته وإسهاماته التي ستذلل مـن معوقات التعليم، وستنعكس إيجابياتها في الاتصال ما بيـن الأسـتاذ وطلابـه. وهذا يعتبر إضافة لترسيخ مبدأ

---

* نقل عن Edward J. Power, Op. Cit. Pp. 265-266

الحـــوار بقاعـــة الدرس، وخلق جو مفعم بروح الاحترام، والتطـــلع للأفضـــل والأرقى، ولكل ما يسمو بنا في سماء الإبداع والتألق.

إن الاتصـــال المتبادل يعني استعداد الأستاذ لتكرار ما يحاول أن يوصله للطالب أكثر من مرة، وهذا ما يؤكده أنـــس رضي الله عنه حيـــث قال بأن رسول ﷺ "كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثة حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم ثلاثاً" رواه البخاري [25].

3- قاعة الدرس [الوسط]:

عمـــلية الاتصـــال تـــتم بداخل حيز أو وسط نسميه قـــاعدة الـــدرس، وحتى يكون هناك إمكانية نقل المعلومات المهضـــومة مـــن الأســـتاذ إلى الطـــالب، وتمرير الأسئلة والاستفسارات من الطالب إلى الأستاذ، فيجب أن يؤخذ في الاعتـــبار بعض العوامل التي تتمثل في سعة القاعة، وتعدد الـــنوافذ، والتدفـــئة، ووجود صور ولوحات لبعض مراحل التعـــليم [19]. وبالـــرغم مـــن أن هذه العوامل تلعب دوراً كبيراً في العملية التعليمية، إلا أنه يلاحظ عدم وجود أجهزة مراقـــبة، وتفتيش عن هذه الأمور. إن خضوع المؤسسات التعـــليمية لمواصـــفات معيـــنة تخص قاعات الدرس أمراً ضـــرورياً، ويحتاج لنوع من الجدية والمراقبة. إن ما تلقاه صـــالات الإنتاج والورش الإنتاجية من اهتمام، وتأكيد على المتطلـــبات والاشتراطات المختلفة للصحة الصناعية، يجب أن يـــناظره الاهـــتمام بقاعـــات الـــدرس، وهذه المتطلبات تلخص في الآتي [35]:

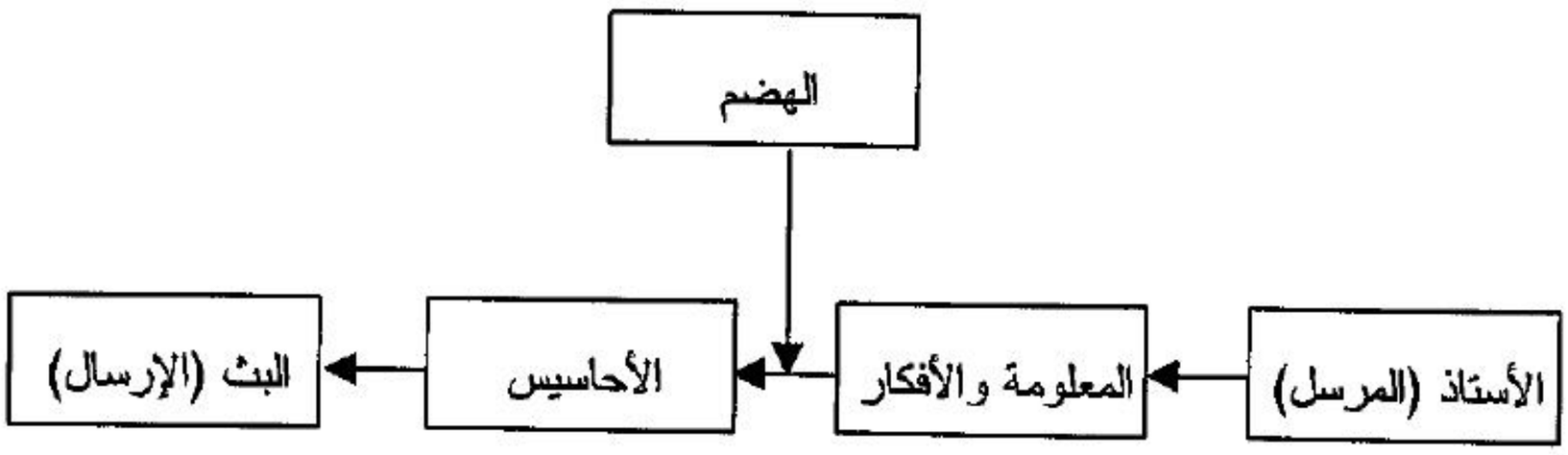

الشكل (1): هضم المعلومات ونقلها بالأحاسيس، مثلما يحدث بعملية التعديل في الإرسال

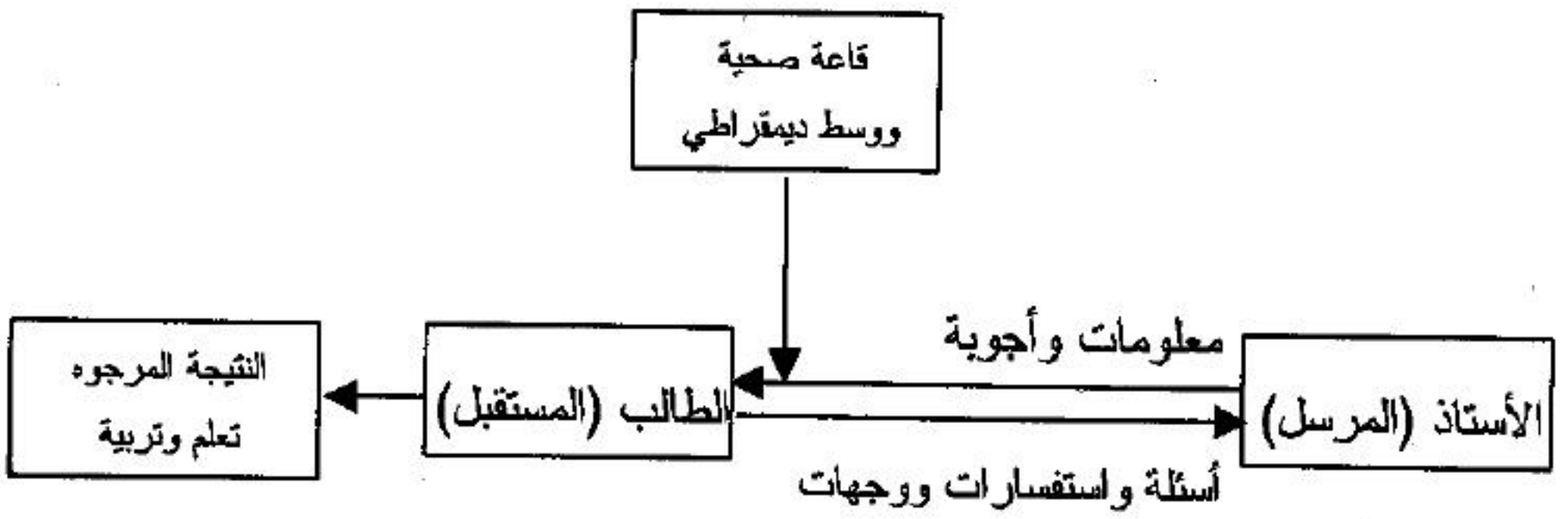

الشكل (2): عملية الاتصال المتبادل بين الأستاذ والطالب بقاعة صحية ووسط ديمقراطي

أ) مكان كاف.

ب) جو صحي، خالٍ من الهواء الفاسد.

ج) إضاءة مناسبة*.

د) انخفاض الضوضاء.

من الملاحظ أن هناك قصور في الاهتمام بالمتطلبات والاشتراطات الخاصة بفصول الدراسة، مقارنة بصالات الإنتاج، وربما يرجع ذلك لعاملين: (أ) عدم توفر المورد المالي، (ب) تبذير ما يخصص للصرف في غير محله. زد على هذا ما يصرف في الصناعة يقابله مردود مادي ولذلك فلا نجد تردد في الصرف، أما في التعليم وللأسف يظهر بأن الصرف صار محدود جداً.

لقد أثبتت الدراسات العلمية بأن تزويد مكاتب الموظفين وصالات الإنتاج بالمصانع بأجهزة تكييف الهواء قد أنقص من نسبة المرض من الموظفين والمنتجين بنسبة 40% [10]، وهذا ما سيدفع المصانع للصرف على تركيب أجهزة تكييف، لأن ذلك سيقابله مردود مادي، أما عن غياب التلاميذ ومرضهم، فلا ندري كم سيكون استعداد المؤسسات التعليمية للصرف من مخصصاتهم على أجهزة تكييف للطلاب.

إن المسألة تحتاج لمراقبة الصرف، والتفتيش عن جميع قاعات الدراسة، لمختلف مستويات التعليم حتى نضمن وجود وسط مناسب للتحصيل والتعليم، واتصال مجدي ومفيد ما بين الأستاذ والطالب.

4- الطالب (المستقبل):

إن استعدادات الأستاذ وحدها لا تكفي، فمهما كانت له القدرة على الإلقاء وهضم المعلومات، والشخصية القيادية – إضافة إلى دور المجتمع –، ومهما كان الوسط كذلك مهيأ للإرسال والاستقبال، وانعدمت به جميع مصادر التشويش، يبقى العنصر الثالث (الطالب) مهماً جداً بحيث يكون عنده الاستعداد لاستقبال المعلومات والمفاهيم، والأفكار المرسلة من قبل الأستاذ، وهنا نود أن نبين بأن الأمر ينقسم إلى قسمين:

1.4 أمور خارجة عن طوع الأستاذ:

حتى يكون الطالب مستعداً استعداداً تاماً للتفاعل مع العملية التعليمية يجب أن يجد العناية والتشجيع من الأسرة والمجتمع، فعلى نطاق الأسرة وجود مشاكل أسرية اجتماعية أو اقتصادية – نتيجة لانخفاض الدخل – ربما شجعه عن التهاون في الدراسة، وهنا يبرز دور المجتمع في توفير الأخصائيين الاجتماعيين للتعرف وعن قرب للظروف التي يعيشها الطالب هو وأسرته، ولكن يبرز هنا دور الأستاذ الرئيسي في اكتشاف هذه المشاكل لاتصاله المباشر بالطالب.

إن غياب الأخصائيين الاجتماعيين بالمؤسسات التعليمية، وخاصة بالتعليم العالي لا مبرر له، فلا نظن بأن المشاكل الأسرية، والمشاكل النفسية تخص فقط طلبة التعليم العام.

---

* للمزيد راجع [36].

2.4 أمور بيد الأستاذ:

يـتعرض الأســتاذ عــبد المجيد محجوب في كتابه "هكذا نربي" إلى المأساة التي يعاني منها الطالب في طريقة تــلقيه واتصــاله بالعلم والمعرفة فيقول "فاتصاله (الطالب) بالمعلومات هو كاتصال القمع بالسوائل والمسحوقات أعنى تمــر عــليه أو تمر به، كما تمرر تلك الأشياء بذلك القمع الجــامد المثقوب من أجل هذا ظنوا الطفل شبه كيس يصب فيــه كــل علم، ويجمع كل شيء، صباً صبا، وجمعاً جمعا لأن المهــم عندهم هو حشوه بالمعلومات وتكديسها" [30]، ويــرى بــأن هــذه المعضلة "تستوجب أن نقلب فوراً نظم التعــليم رأســاً على عقب ونغير تغييراً أساسياً جميع دور الــتربية والتعليم حسبما يقتضيه التطور الحضري، وتسمح بــه الظــروف والإمكانيات" [30] ويسترسل بعد ذلك في إيعــاز ذلك لعدم وجود مأوى (مدرسة) أمين، وإلى النقص في كفاءة المدرس وحصانة المعلم وإلى أمور أخرى ونحن وإن كنا نتفق معه إلى حد كبير مع ما يقوله إلا أننا ما زلنا نــرى أن الحــل يتطلب الرفع من مستوى الاتصال ما بين الأســتاذ والطــالب، ففي هذا الخصوص تسرب المعلومات مــن الطــالب كتسرب الماء بالقمع، نرجعه إلى عدم تهيئة الأستاذ، وتعديل جهاز الاستقبال عند الطالب بحيث يتشرب هــذه المعلومات، ويتمثلها أفكاراً وسلوكيات، إذا اتفقنا جدلاً بــأن جميع الأمور الأخرى على ما يرام، أو في المستوى المطــلوب، ويقول كلابارید في هذا الخصوص "بضرورة تخصيص حصص كافية في تكوين المدرسين يمارس فيها المــتدربون تــرويض الحيوانات، وذلك لأن المروض يعلم جيداً في حالة الفشل في الترويض أن هذا الفشل من خطئه هــو، بيــنما الاخفاقات في تربية الأطفال تنسب دائماً إلى الأطفال أنفسهم" [37]. وهذا لا يختلف كثيراً عن الطلاب.

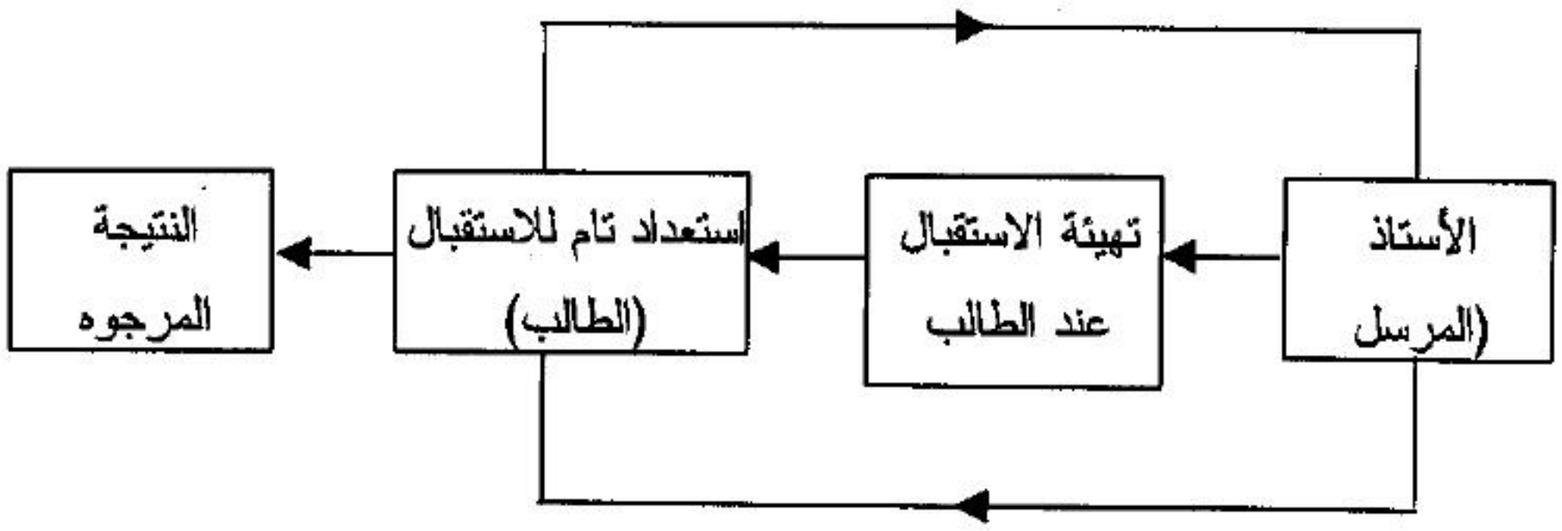

الشكل (3): تهيئة الطالب للاستقبال من قبل الأستاذ يسبق عملية البث للمحاضرات

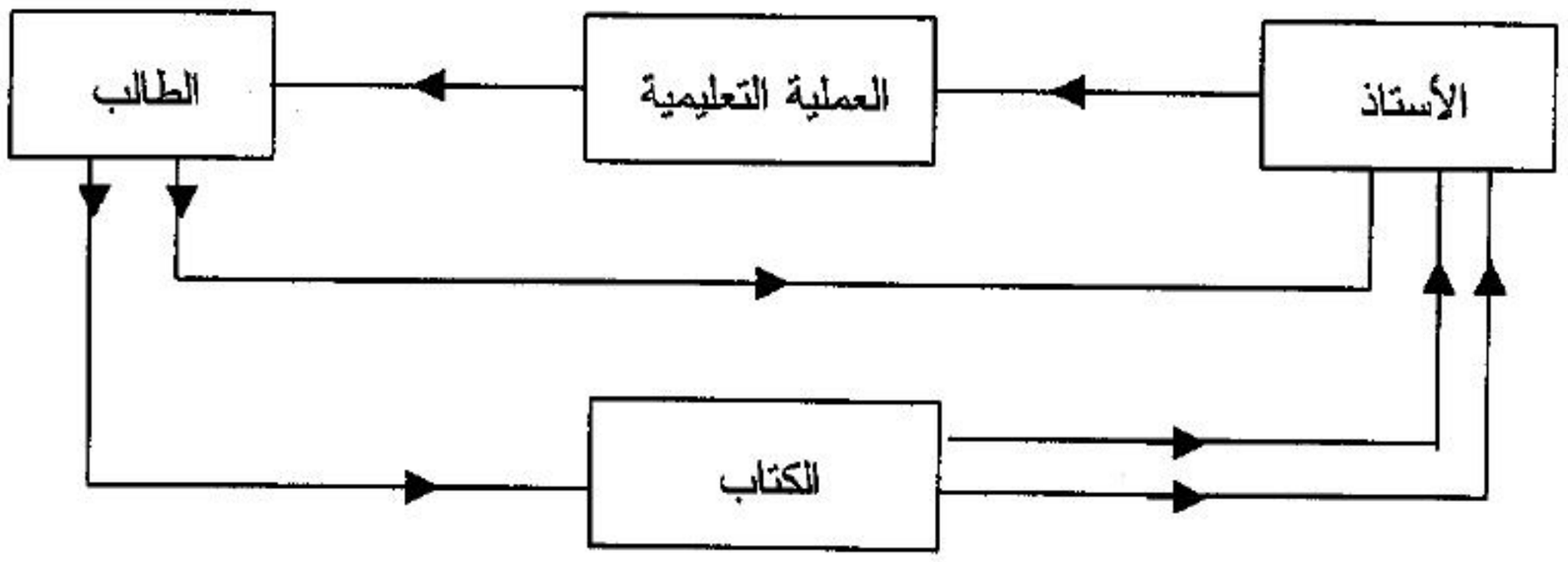

الشكل (4): طرق الاتصال بين الأستاذ والطالب مع الكتاب في العملية التعليمية

الطـــالب فـــي مختلف مراحل تعلمه، يحتاج لإعداده من قبل أستاذه نفسياً بحيث ما يصله من معلومات، وأفكار، وســـلوك يتمـــثله، ويعايشه ويناقشه ويبدي فيه وجهة نظره بـــدون إكـــراه أو تـــزمت، هناك حاجز نفسي بين الأستاذ والطـــالب، ودور الأستاذ هو كسر هذا الحاجز حتى يمكنه الاتصـــال بالطـــالب، واســـتقبال ما يمليه عليه من معارف وأفكار.

إن دور الأســـتاذ في تعديل وتجهيز الطالب لاستقبال مـــا يرســـله إليه بمثابة التفتيش عن محطة بجهاز المذياع لاســـتقبال موجـــة معينة*، انظر الشكل [3]، فالأستاذ على علم أكيد بالتردد الذي يريد أن يبث عليه محاضراته، وهذا يفـــترض أن لا يعفيـــه من الخطأ في تهيئة استقبال الطالب لمحاضـــراته بالوجه المطلوب. إلا في حالة عدم صلاحية الطـــالب أصلاً للاستقبال، وخروج الموضوع عن إمكانيات الأســـتاذ، إلا أن هـــذا لا يمـــنعه مـــن التبليغ عن مثل هذه الحالات المستعصية للجهات ذات الاختصاص.

5- الحلقة الرابعة الكتاب:

فـــي دراستنا هذه جعلنا العناصر الأساسية في عملية الاتصـــال ثلاثـــة، وهـــذا لا يعـــني أننا نسينا دور القراءة والكـــتاب بالتحديد في العملية التعليمية، إلا أن ما نؤكد عليه هـــو أن "ألفـــاظ الكـــتاب جامدة لا روح فيها فلا يمكن أن تـــتفاعل مـــع أفكار الطالب" [19] بسهولة ويسر. كما وأن الكـــتاب المدرسي لن يكون في يوم من الأيام قادر بمفرده أن يحقق الأهداف التعليمية "المرتبطة بنماء القدرات الفعلية العـــليا والمهـــارات والاتجاهات والقيم" وهذا يجعل مشكلة الاتصال قائمة بين الأستاذ والطالب وأن تدخل الكتاب، في عمـــلية الاتصـــال بيـــنه وبيـــن الطالب فيبقى الأستاذ هو المرســـل، وعـــليه أن يشرف ويخطط ويتفنن* في إيصال المعـــلومة والفكـــرة، والســـلوك، وأن وجـــد الكتاب وتعلم الطـــلاب الاتصـــال به فالرجوع للأستاذ يظل مطلوباً، وما ينطـــبق عـــلى الكـــتاب ينطبق على أي وسيلة نقل تعليمية أخرى.

وإن كـــان من أساليب التعليم الجديدة، "الاعتماد على المكاتـــبات والقـــراءات الفـــردية" [29] إلا أن ذلـــك ليس بالشـــرط الصـــحيح مئة بالمئة، بحيث يعفى الأستاذ من أن يأخذ على عاتقه مهمة نقل وإيصال ما بالكتب من معلومات وأفكـــار إلى الطـــالب، فإذا كانت وجهة نظر الأستاذ عبد الجـــليل المحجوب في كتابه "هكذا نربي" بأنه لا يكفي بأن يكون المدرس "طيب السريرة حي الضمير (حتى) يستطيع أن يلقن تلاميذه معلومات جديدة، ولو كان يجهلها من قبل، وذلك باعتماده على كتاب مفيد "ويعلل ذلك بأن هناك الكثير ممـــن أخفقـــوا فـــي الـــتدريس حيث كانت تنقصهم جميعاً الـــتجربة الشخصـــية، والمـــرونة الفنية، لأنهم يحسبون أن الضـــمير الحـــي، والمجهـــود الكـــبير يقومان مقام الكفاءة الصناعية" [30].

إذا كـــان هذا حال الأستاذ، فكيف يكون حال الطالب

---

* إن غياب دور الأستاذ جعل الأستاذ جان بياجي يعطي المبرر لنجاح ما يدعو إليه سكينر Skinner أحد كبار المنظرين الأمريكيين في ميدان التعلم باستخدام المناهج المبرمجة وآلات التعلم، بعد أن لاحظ بأن تجاربه تسير على نحو أحسن كلما استبدل تدخلات الإنسان المجرب بتجهيزات آلية مضبوطة، فيقول الأستاذ بياجي "إن آلات العلم المبرمجة جيداً بالقدر الكافي، يمكن أن تعطي مردودية أكبر من التعليم الشفوي المنظم، ومن البديهي أنها لم تكن لتنجح بالمقارنة مع الطرق المعتادة في التلقين اللفظي المعتمد على ضرورة التلقي وقد اشمأز ذوو النفوس العاطفية والكئيبة لإمكانية استبدال المدرس بآلات والحال أن هذه الآلات تثبت بالعكس، وبشكل لا يقبل أي جدال الطابع الميكانيكي لعمل المدرس، كما يتصوره التعليم التقليدي" [37].

* "لكي يصبح الإنسان (الأستاذ) فناناً، ينبغي له بالضرورة أن يتحكم بالتجربة وأن يحولها إلى ذكرى، ويحول الذكرى إلى تعبير، ويحول المادة إلى شكل، فليست الأفعال كل شيء بالنسبة للفنان، إذ ينبغي له أيضاً أن يعرف حرفته، وأن يحبها، وأن يفهم كل قواعدها وتقنيتها وأشكالها وشروطها التي بفضلها يمكنه أن يروض لطبيعة (العلوم) الشرسة، ويخضعها لقوانين الفن" [82].

إذا اعـتمد ولوحده على النقل من الكتب. إن بلورة الأفكار واسـتخلاص العصارة من المعلومات المدونة بكتاب تحتاج إلى جهـد مضني وخبرة. إن اتصال الطالب بالكتاب مهماً وضـرورياً، ولكـن بإشراف الأستاذ وبتوجيهاته، وضمن الحـدود التي يرسمها المعلم لطلابه، وهذا – كما ذكرنا من قـبل – من أجل تحقيق أهداف تعليمية وتربوية مرسومة، ومخطـط لها، أما القراءة والإطلاع من أجل زيادة الرصيد الـثقافي وتدريب ملكات الطالب على الاستنتاج وفتح آفاق رحـبة في سماء التعلم، فلا غبار عليها، والاستزادة هنا لا حدود لها.

الخلاصة والتوصيات:

مـن خلال دراستنا برزت لنا أهمية الرفع من كفاءة الاتصـال ما بين الأستاذ والطالب، وما تلعبه من دور مهم فـي تخطي أحد معوقات التعليم في تدريس العلوم الأساسية أو غيـرها مـن العلوم، كما واتضح لنا بأن التركيز الذي أحـاطت بـه المـدارس التربوية [41] بخصوص التعلم، والتعـليم سـلك اتجـاهين: أحدهما يختص بالتعلم ويعني "بكيفيـة اكتسـاب الشـخص لمجموعة المعارف أو إظهار الاسـتجابة لمثيرات معينة، (والاتجاه الآخر يعني بالتعليم) وبمـا يحدث للمتعلم نفسه قبل وأثناء وبعد العملية التعليمية "[2]، ولم يحظى موضوع الاتصال ما بين الأستاذ والطالب – كجـزء يعـني بمـا يحـدث أثـناء العملية التعليمية – وبالأسلوب الذي تطرقنا إليه كفايته من الدراسة والبحث.

ومـا نحاول أن نبرزه، ونؤكد، عليه من خلال هذه الدراسـة ونـأمل أن يسـاهم في الحد من معوقات التعليم، يتلخص في التوصيات التالية:

1- بالـرغم من أن التدريس مسؤولية أخلاقية، وكما يقول فـرانكل "القيم لا تحفز الإنسان ولا تدفعه، بل هي على الأصح تشده، فلا يمكن أن يوجد في الإنسان أي شيء يشـبه الحافـز الأخلاقي، أو حتى الحافز الديني بنفس طـريقة الغرائـز الأساسية، فالإنسان لا يدفع أبداً إلى السـلوك الأخلاقـي دفعاً ولكنه في كل حال يقرر أن يتصرف تصرفاً أخلاقياً" [40] إلا أنها تتطلب مع ذلك الإلمام ببعض الأمور التي تتعلق بفنون الإلقاء والكلام، وعـلم الـنفس ومـا يسهل من عملية الاتصال ما بين الأسـتاذ والطـالب، لذلـك يجب أن يجتاز كل أستاذ امـتحان بالخصوص. وأن لا يغني عن ذلك الحصول على شهادة عليا [ماجستير أو دكتوراه].

2- الوسـط الخاص بالعملية التعليمية يحتاج لمطابقة العديد مـن المواصـفات الفنية – إضافة للجو الديمقراطي – وعـليه فيجب تشكيل لجان تفتيش ومراقبة عن قاعات الدرس، والمختبرات، والورش الدراسية.

3- تـأمين ظـروف مادية ومعنوية ملائمة للأستاذ مهمة المجـتمع، فـلا يجوز أن يضطر الأستاذ للالتجاء إلى مصادر رزق أخرى لتحسين وضعه المادي والمعنوي بالمجـتمع والمادة [13] الثالثة عشر من شروط العمل والدراسـة بـالمدارس الابـتدائية الصادرة عن نظارة المعـارف لجميـع ولايات الدولة العثمانية عام 1908 ومـنها الجماهيرية هذه المادة تنص أنه "غير مسموح لمعـلم الاشتغال بالتجارة أو غير ذلك خارج المدرسة" [9].

المراجع والمصادر:

1. عيسى صالح العجيلي، مشاركة المدرسين في الإدارة المدرسية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع الإعلان، طرابلس، الجماهيرية العظمى، ط1، 1982، ص 54-62.
2. د. رمضان القذافي، نظريات التعلم والتعليم، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ط2، 1981، ص 17-29.
3. د. أحمد علي فتيش، أصول التربية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ط5، 1985، ص 41، 55، 57، 836-92.
4. ل. س. فيكوتسكي، نمو الوظائف العقلية العليا، قراءات في نظريات التعلم، جمع وترجمة د. موفق الحمداني، سالمة الفخري، سامية سفر، دار الشئون العامة، 1989، ص 320.
5. د. علي الحوات، علم الاجتماع التنظيم دراسات أساسية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، الجماهيرية العظمى، ط1، 1985، ص 162-163.
6. د. عمر التومي الشيباني، تطور النظريات والأفكار التربوية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس ط3، 1982، ص 62-63.
7. عارف مفضي البرجي، التوجيه الإسلامي للنشر في فلسفة الغزالي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ط2، 1983، ص 101-115.
8. موريس روكلن، ت. د. علي زيعور، تاريخ علم النفس، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط4، 1981، ص 167.
9. د. رأفت غيمني الشيخ، تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة، دار التنمية للنشر والتوزيع بنغازي، ط1، 1972، ص 135-136.
10. د. ملاك جرجي، سيكولوجية الإدارة والإنتاج، الدار العربية للكتاب، بيروت، لبنان، 1983، 241-243.
11. س. ل بيسي، ت كمال السيد درويش، نوعية التربية في البلاد النامية، دار الثقافة، بيروت لبنان ص 138-139.
12. د. محمد مختار عثمان، مبادئ علم الإدارة العامة، جامعة قار يونس بنغازي، ط1، 1990-1991، ص 205-215.
13. د. أحمد ماهر، الإدارة مدخل بناء المهارات، المكتب العربي الحديث الإسكندرية، جمهورية مصر العربية، 1985، ص 247-250.
14. عبد العزيز سعيد الصويعي، فن صناعة الصحافة ماضيه وحاضره ومستقبله، شكل الصحيفة الليبية في مائة عام، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، الجماهيرية العظمى، 1984، ص 19.
15. د. علي زيعور، الدراسة النفسية الاجتماعية بالعينة للذات العربية، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط2، 1984، ص 194-215.
16. د. مصطفى الحجازي، الاتصال الفعال في العلاقات الإنسانية والإدارة، دار الطليعة، بيروت لبنان، ط1، شباط 1982.
17. د. إبراهيم وجيه محمود، علم النفس، موضوعه ومدارسه ومناهجه، دار الكتاب العربي، طرابلس الجماهيرية العظمى، ط1، 1974.
18. د. رمضان القذافي، علم النفس العام، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1983.

19. جماعة من الاختصاصيين، كيف تلقي درسك، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، 1982، ص 7، 41، 12، 17-38.

20. أ. المبروك عثمان أحمد، أ. سعد المقرم، أ. عمارة بيت العافية، طرق التدريس وفق المناهج الحديثة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس الجماهيرية العظمى، 1987، ص 21-23..

21. محمد ماهر فهيم، فن الإلقاء، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، ط1، 1990، ص 40.

22. سامي عبد الحميد، بدري حسونة فريد، فن الإلقاء، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، الجمهورية العراقية، 1980، ص 3-11.

23. د. فاروق سعد، فن الإلقاء العربي الخطابي والتمثيلي، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب العالمي، ط1، 1987، ص 40، 204-229.

24. د. فتحي سالم أبو زخار، التعليم وعلاقته بتلوث البيئة، المؤتمر الأول لعلوم البيئة، سبها الجماهيرية العظمى، 27-31، أي النار 1990.

25. أبي زكريا يحي الدمشقي، رياض الصالحين، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط1، 1982، ص 323، 324 ، 649.

26. د. محمد هاشم فالوقي، مفهوم التعليم في الكتاب الأخضر، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، ط1، سبتمبر 1984، ص 33.

27. محمد عبد الرحمن الهوني، إبراهيم حماد الشيخ، الفيزياء لمعاهد معلمي ومعلمات مرحلة الإلزام، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، الجماهيرية العظمى، ط1، 1984، ص 32-36.

28. إرنست فيشر، ت. د. ميشال سليمان، ضرورة الفن، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ص 10.

29. أ. رشدي لبيب، الرؤى المستقبلية لمحتوى التعليم ومناهجه في البلدان العربية، التربية الجديدة، العدد التاسع عشر، السنة السابعة، كانون الثاني أي النار نيسان الطير 1980، ص 51.

30. أ. عبد الجليل محمد المحجوب، هكذا نربي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1978، ص 93.

31. د. عمر التومي الشيباني، التربية وتنمية الذات القومية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس الجماهيرية العظمى، ط1، 1984.

32. د. عمر بشير الطويبي، سلبيات وإيجابيات مهنة التعليم في ليبيا كما يراها المعلمون، مجلة كلية التربية، العدد الخامس، المطبعة السريعة، طرابلس الجماهيرية العظمى 1976، ص 51-68.

33. د. فتحي سالم أبو زخار، توجيهات في إطار التعليم والتدريب لتنمية المجتمع، الندوة العالمية عن دور التعليم التقني والمهني في تنمية المجتمع، طرابلس، الجماهيرية العظمى 10-11 شباط، النوار 1989.

34. أحمد محمد القماطي، تطوير التعليم الفني في الجماهيرية، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس الجماهيرية العظمى، الكانون 1987، ص 267-269.

35. س. بسر، أ. كوبكية، ت م. محمد عبد المجيد نصار، الأمان الصناعي، الوقاية من الحوادث الصناعية، دار النشر الشعبية للتأليف لايبزج، مؤسسة الأهرام، جمهورية مصر العربية، ص 9-24.

36. د. فتحي سالم أبو زخار، الاستضاءة ومعاييرها القياسية، الندوة العالمية الأولى حول التقييس وضبط

الجـودة بأقطـار اتحـاد المغـرب العربي، طرابلس الجماهيرية العظمى 5-1989.12.7.

37. جـان بيـاجي، ت محمـد بردوزي، علم النفس وفن الـتربية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، ط 4، 1990، ص 62-65.

38. أ. إيـليا حاوي، فن الخطابة وتطوره عند العرب، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص 8، 14، 17.

39. أحمـد محمد رابعة، إدريس محمد زايد، د. جابر عبد الحميـد جابـر، د. عـبد الله فكـري العريان، طرق الـتدريس الخاصـة باللغة العربية والتربية الإسلامية لمعـاهد المعـلمين والمعـلمات، ج1، أمانـة التعليم، طرابلس، الجماهيرية العظمى، 1983-1984، ص 8 -9.

40. روبـرت م. اغروس، جورج . ستانسيو، ت د. كمال خلايلي، العلم في منظوره الجديد، عالم المعرفة، العدد 134، الكويت فبراير النوار 1989، ص 90-91.

41. سـامي عبد الحميد نوري، بدري حسون فريد، طرق الإلقـاء، وزارة التعـليم العـالي والبحث العلمي، دار المعرفة، بغداد الجمهورية العراقية، ط1، 1980، ص 4، 8، 12.

42. Krashen. S D. Second iange acquisition and second language learning, Pergamon, 1981.

43. Krashen, S. D and Terrel T. D., The Natural Approach. Pergamon. A Lemany, 1983.